باب التربية والتعليم

اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا

كتبنا في الجزء الماضي شيئا في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضاق ذلك الجزء عن نشرها فرأينا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

المدارس وطلبة العلوم

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسئلة اصلاح المدارس . مسئلة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ما خطونا الى الامام الا خطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعنى بها لان حياة الامم و بقاءها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سعادتها وارتقائها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضعت أساسا للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى و بنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا فخلفتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال !

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغتفر على اخلاقها بل على النوع البشري باسره

واذا أجلنا الطرف في مدارسنا نرى الفوضى سائدة في أكنافها : لا نظام ،

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كامتعة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق ! ومن أراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يبتدئ منها . فليس اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة ولكن الامة اذا تصدت لهذا الامر بجد واخلاص ذللته مهما كان صعبا اذ لا يوجد في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتئمة اعضاؤها . ومامن غاية قاصية الا وادركتها الامة المتحدة ومامن مسلك وعر الا وعبرته الامة المتحدة

والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لا نهاية له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول:

هل تفتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مسئلة اصلاح المدارس مسئلة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نعثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الامة لم يكن له أثر بالمرة . ولكن الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسيما يرجع الى الامة بالخسار فهؤلاء المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلو الحقيقة ويطلع الكثيرين على مواضع خطأهم وينقذهم من التيه في غمرات الضلال .

اننا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجر فيها ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نحتذيها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآننا ، وحروف مطابعنا وغيرها أفلا تكون ديار التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يتربى فيها رجال المستقبل وقادة الامة مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرسا في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذا نفوذ عظيم في الأمة أو رئيساً لبيت من البيوت ؟

ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجمة وتخلقهم بالاخلاق الفاضلة يحتاج في اثباته الى دليل !

واذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالاً في الاخلاق الفاضلة والآداب فلا يرجى منهم خير للأمة قطعاً . وليست وظائف من يكون زوجاً لامرأة أقل من وظائف من يكون معلماً في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته

كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية» وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من يرشح للتدريس أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

ثم كيف نحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية ولا تدري ما هي الفلسفة الدينية معمورة غير مفتقرة الى الاصلاح ، وكيف ترجى الخدمة للمسلمين من طلبة هذه المدارس ؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح و بضعة كتب من علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في هذا الزمان ؟

اذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلاسم والجفر و يحرمون ركوب السكة الحديدية ، و يمتنعون من السفر تطيراً بحيوان مخصوص ، ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تزال تفيض وستفيض بعد الآن . والقارئون منا أكثر من قارئي الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المائة وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المائة على ان مدارسهم منتظمة ومدروسها على نسق جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فالذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا ؟ قلنا لهم :

كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جداً في المدن فما بالك بالقرى وما كان المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (المخطوطات) وقراءتها أو كتابة أسماء المواليد في سجل النفوس اذا كان القارئ امام مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الايام وتغيرت

الازمان وكثرت الحاجات ونجمت بين الامم والمنافسة في الحياة، أوه تنازع البقاء، وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالمام بشيء من الدين وتعلم الكتابة . اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تتخرج فيها هداة الامة وقادتها . وهؤلاء القادة يقودون أقوامهم الى ما فيه صلاحهم وينهضون بهم الى مستقبل عظيم .

اذا بقي هداتنا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسرنا خسرانا مبينا !

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة . وان كان هذا الامر مما كان يعد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن حقيقة جلية كالشمس في وسط السماء .

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضمون نظاما في حاجاتهم الدينية والدنيوية ويرفعونه الى الحكومة وانهم مجتمعون في عواصم البلاد ويأتمرون في شؤونهم المختلفة كما رأينا اليوم باعيننا ؟ فلا غرو اذا رأينا بعد هذا وكلاء المسلمين يجلسون متكافئين مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية . وبالجملة انا نضطر بعد اليوم الى ان نعيش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح . واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين .

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية كما قلنا سابقا هو ان يتخرج فيها رجال يكونون أئمة للامة .

المتعلمون من الروس أكثرهم يعملون أعمالا تعار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني . أيها الاخوان ! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهيء لنا رجالا محفظا امتنا من الزلازل والزعازع والامواج والزوابع ، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أثبته البرهان والعيان .

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيرا بمسلمي روسيا لا يزلزله ما نسمعه عن جمود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الاصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان فان طلاب الاصلاح كثيرون وهم الغالبون حتما ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى الموضوع ونذكر ما يصل الينا عن مؤتمر التلاميذ الذي عقدوه في قزان وبعض ما نراه واجبا في اصلاح تلك المدارس

آثار علمية

التقريظ

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الايمان الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما اطلعنا عليه من كتبه فقد تصفحنا منه أوراقا متفرقة فرأينا كلاما معتدلا ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة منه شيئا ضارا بعد منفردا به فاثباته رؤية كثير من الناس للحق قد تبع فيه كثيرا من المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك . واما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أر فيه ما يضر القارئ . مثاله قوله

«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية — فعلم الامر هو علم الفرائض والسنن والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكراهة والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير وأبهة الهيأة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى اكتساب . وبعد هذا فالهدي هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طرفة عين والعقل أيضا محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه آنا أبدا وكل علم مدّ شراعه في الاكوان انفتق رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجا»

فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول